﴿۞قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ١١﴾ [السّجدة: 11]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الرَّبطُ بين الكفر بلقاء الله وبين تكليف ملك الموت بقبض الأرواح

تعدَّدتِ المناسباتُ المتعلِّقة بهذه الآية، فكانت المناسبة الأولى: أنَّهم لمّا جحدوا لقاءَ ملائكةِ ربِّهم عند الموت، وما يكون بعدَه؛ ذَكرَ لهم حديثَ إماتة مَلَكِ الموت إيّاهم؛ إيماءً إلى أنَّهم سيُلاقونه، وحديثَ الرُّجوع إلى الله تعالى بالبعث للحساب والجزاء، وثَمَّةَ مناسبةٌ أخرى لما قبلَ الآية، تتمثَّل في أنَّهم لمّا أنكروا البعثَ والمَعاد؛ ردَّ عليهم بما ذُكِر؛ لتَضَمُّن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ﴾ البعثَ وزيادةَ ذِكْر إماتة مَلَكِ الموت إيّاهم، وكونه مُوكَّلًا بهم؛ لتوقُّف البعث على وفاتهم، ولتهديدهم وتخويفهم، وللإشارة إلى أنَّ القادر على الإماتة، قادرٌ على الإحياء، أمّا المناسبة الثّالثة لهذه الآية وتعلُّقها بما قبلها: فذلك لرَدِّ ما يُشْعِرُ به كلامُهم، مِن أنَّ الموت بمقتضى الطَّبيعة، حيثُ أسندوه إلى أنفسهم، في قولهم: ﴿أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، فليس عندهم بفعل الله تعالى ومباشرةِ ملائكته[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَتَوَفَّىٰكُم﴾: (وفّى) كلمة تدلُّ على إكمال وإتمام، ومنه الوفاء: إتمامُ العهد وإكمالُ الشرط، ووَفَى: أوفى، فهو وفيٌّ، ويقولون: أوفيتُك الشَّيء؛ إذا قضيتَه إيّاه وافيًا، وتوفّيت الشَّيء، واستوفيته؛ إذا أخذته كلَّه حتّى لم تترك منه شيئًا، ومنه يقال للميت: توفّاه اللّه[2]، وتوفيَة الشَّيء: بذلُه وافيًا، واستيفاؤه: تناولُه وافيًا، قال تعالى: ﴿وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ﴾ [آل عمران: 25]، وقال تعالى:

(1) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 124، 125.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وفى).

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢﴾ [المطففين: 2]، وقد عُبِّر عن الموت والنَّوم بالتَّوفّي، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ﴾ [الزمر: 42][1]، والمراد بالتوفّي في الآية: الموت.

2) ﴿وُكِّلَ﴾: (وكل) أصلٌ صحيح يدلُّ على اعتماد غيرِك في أمرك[2]، والتَّوْكيلُ: أن تعتمد على غيرك، وتجعله نائبًا عنك، والوَكيلُ فعيلٌ بمعنى المفعول، قال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٨١﴾ [النّساء: 81][3]، والمعنى المِحوريُّ: ترك أمر، أي: تفويضُ القيام به إلى مَن فيه الكفايةُ للقيام به، وليس الضعفُ والعَجْزُ والبِطْءُ شروطًا، بل هي حالات خاصَّة، والتَّوكيل قد يكون للتَّكريم، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمًا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ۝٨٩﴾ [الأنعام: 89][4]، والمعنى المراد بالآية: كلَّفناهُ بقبض أرواحكم.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

المصير المحتوم بالرُّجوع إلى الله الحيِّ القيّوم

في الآية الكريمة حسمٌ من الرَّسول ﷺ بتوجيهٍ من ربِّه؛ رادًّا على مزاعمهم الباطلة، وأنَّ مَلَك الموت الَّذي وكِّل بقبض أرواحكم هو وأعوانُه سيتوفّاكم، وستعودون إلى الله يومَ القيامة للحساب والجزاء، والظّاهر أنَّ ملك الموت شخص معيَّن، وقد سُمّي في بعض الآثار بـ (عزرائيل)، وهو المشهور، وله أعوان - كما ورد في الحديث - ينتزعون الأرواحَ من سائر الجسد، حتّى إذا بلغت الحلقوم؛ تناولها مَلَكُ الموت[5].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نُكْتَةُ فصلِ الآية عن سابقتها:

الـــــرَّدُّ عـلى المـنـكـريـن مع تكريم الإنسان كونَه إنسانًا

فصلت الآية عن سابقتها: أنَّ قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ

(1) الفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: 5/ 245.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وكل).
(3) الراغب، المفردات: (وكل).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (وكل).
(5) الصّابونيّ، صفوة التّفاسير: 2/ 462.

ٱلْمَوْتِ﴾، لأنَّها جاءت ردًّا على قولهم: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍۚ﴾، فالحقُّ الذي قال: أنا خلقتُ الإنسان، لم يقُل: وأنا سأعدمه، إنَّما قال: سأتوفّاه، فهو عندي كاملٌ بروحه وبذَرّاته التَّكوينيَّة، والَّذي خلق في البَدْء، قادرٌ على الإعادة وجمع الذَّرّات الَّتي تشتَّتت[1].

دلالةُ التَّعبير بفعل الأمر ﴿قُلْ﴾:

بيانُ الحقِّ مع ضرورة تغيير المنكر

في توظيف الفعل ﴿قُلْ﴾ في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾، دلالاتٌ متعدِّدة، أوَّلها: بيانُ الحقِّ، والرَّدُّ على زعمِهم الباطلِ[2]، ثانيها: التَّنبيه على ضرورة تبليغ الرِّسالة الموحاة من اللّه تعالى، وأعظم مَن يبلِّغ الرِّسالة هو الرَّسول محمَّد ﷺ، وكأنَّ التَّعبير: قل لهم نيابة عنّا بعدما سمعتَ قولَهم وإنكارَهم، وثالثُها: في الفعل ﴿قُلْ﴾ توجيهٌ بضرورة الدَّعوة بالقول، وتغييرِ المنكر باللِّسان، رابعُها: في وجود الفعل ﴿قُلْ﴾ تطمينٌ وتأنيسٌ لرسول اللّه ﷺ، بأنَّ ربَّه حاضرٌ معه، ومؤيِّدٌ له، وناصره من هؤلاء المُنْكِرين.

نُكْتَةُ التَّعبير بجملة ﴿يَتَوَفَّىٰكُم﴾:

التَّذكيرُ بالموت مع ضرورة الاستعداد للقاء الله

قوله تعالى: ﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾، أي: يستوفي نفوسَكم، لا يترك منها شيئًا، أو لا يُبْقي منكم أحدًا، والتَّفعُّل والاستفعال يُستعمل أحدُهما مقامَ الآخر، يقال: تقصَّيته واستقصيته، وتعجَّلتُه واستعجلته[3]، وفي الفعل تذكيرٌ لهم بالموت، وهم لا ينكرون ذلك، ولكن ألهتْهُم الحياةُ الدُّنيا عنِ النَّظر في إمكان البعث والاستعداد له، فَذُكِّروا به[4]، وقد عُبِّرَ عنِ الموت بالتَّوفّي؛ لأنَّه لا يكون الموتُ حتّى

(1) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 11/ 11816.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 82.
(3) المظهريّ، التّفسير المظهريّ: 7/ 269.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 220.

يستوفي الحَيُّ ما قَدّر اللّهُ له من حياة، دونَ زيادة أو نقصان[1]، والتَّعبير بالفعل المضارع أفاد التَّجدُّدَ الاستمراريَّ، فضلًا عنِ استحضار صورتِه، وهو يفعل ذلك.

توجيهُ قراءة ﴿تَرْجِعُونَ﴾ وبلاغتها:

الرجوعُ إلى الله حاصلٌ لا محالةَ سواءٌ كان قَسْرًا أو عن إرادة.

في قوله تعالى: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ قراءتان؛ قراءةُ الجمهور بضمِّ التّاء وفَتْحِ الجيم مبنيًّا للمفعول ﴿تُرْجَعُونَ﴾، وقراءةُ يعقوب بفتح التّاء وكَسْرِ الجيم، مَبنيًّا للفاعل ﴿تَرْجِعُونَ﴾ [2]، مِنْ رَجَع رُجوعًا، فالحجّةُ لمن ضَمَّ: أنّه أراد: تُرَدُّون، على اعتبارِ أنّ اللّه أرجعهم قَسْرًا فلا يستطيعون فَكاكًا، والحجّة لمن فَتَحَ: أنّه أراد: تَصيرون[3]، أي: (سيصير رجوعكم إلينا، وستأتوننا بأنفسكم، كأنّكم مضبوطون على ذلك)، أي: (سواءٌ أردتم الرّجوعَ إلى اللّه أم لم تريدوه فإنّكم إليه راجعون على كلّ حال).

غرضُ إسناد التَّوفّي إلى ملك الموت:

بيانُ أنَّ التَّخويف والزَّجر والقدرةَ المطلقة لله ﷻ

الغرض من إسناد التَّوفّي إلى ملك الموت، زيادةُ التَّخويفِ مِنَ الموت[4]؛ لتذكيرهم به، فاللَّفظُ يُشْعِر أنَّه مُسَلَّط عليهم، مُتَوجِّه لهم يريدُهم، وهم لا يستطيعون رَدًّا ولا فرارًا من مصيرهم، وفي ذلك كلِّه إنذارٌ وتخويف؛ تنبيهًا لضرورة تركِ معتقداتهم الفاسدة، ثمَّ إنَّ الموت يقوم به رسولٌ من رُسل اللّه، مُهِمَّتُهُ هي قبضُ الأرواح من الأجساد، بعد أن تستوفيَ أجلها، وإذا كان ذلك كذلك؛ فإنَّ الذي إليه الموتُ، له أيضًا الحياةُ قبلَ الموت، وبعدَ الموت، فمَن أعطى الحياة، ثمَّ سلبَها، لا يَعْجِز أن يعطيَ ما سلب[5].

(1) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 11/ 613.
(2) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 2/ 669، وابن الجزريّ، النّشر، النشر في القراءات العشر: 2/ 343، والبنّا، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعةَ عشرَ، ص: 439.
(3) ابن خالويه، الحُجَّة في القراءات السَّبْع، ص: 249، وابن الجزري، النشر: 2/ 341.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 220.
(5) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 11/ 614.

فائدةُ مجيء التَّوفّي مسندًا للمفرد والجمع:

بـيـانُ وحـدة الـعـمـل مع توزيع الأدوار

فائدة التَّنوُّع بين الإفراد والجمع: أنَّ مَلَك الموت هو المَلَكُ الموكَّل بقبض الأرواح، وقد ورد ذكره في القرآن مفردًا - كما هنا - وورد مجموعًا في قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الأنفال: 50]، وقوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: 61]، وذلك أنَّ الله جعل ملائكةً كثيرين لقبض الأرواح، وجعل مُبَلِّغَ أمرِ الله بذلك مَلَك الموت (عزرائيل)، فإسناد التَّوفّي إليه كإسناده إلى الله - في قوله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾ [الزّمر: 42] - وجعل الملائكة الموكَّلين بقبض الأرواح أعوانًا له، وأولئك يُسَلِّمون الأرواحَ إلى مَلَك الموت، مُرادًا به الجنس، فتكون كقوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: 61][1].

دلالةُ إضافة المَلَك إلى الموت:

التَّعريف بمهامِّ المَلَك في السّياق

الإضافة في هذا التَّركيب الكريم دالَّةٌ على أنَّ عمله الرَّئيس هو قبض الأرواح لكلِّ حيٍّ، فالإضافة هنا إضافة تعريف بمهامِّ هذا الملك، وفي هذه الإضافة تحذير لكلِّ عاصٍ شاردٍ عن المنهج الرَّبّانيِّ؛ لأنَّ مَلَك الموت سيطاله، وإن عاش أمدًا بعيدًا، ففيه دليل على أنَّهم لا يخرجون عن قبضة تصرُّفه طرفة عين، لا في حال الحياة، ولا في حال الممات[2].

بلاغة المتشابه اللَّفظيّ في جهات إسناد التَّوفّي:

مراحل الموت بين الله والمأمورين

من بلاغة ذلك الإسناد: أنَّ إماتة الملائكةِ هو القبضُ والنَّزعُ، وإماتة ملكِ الموت هو الدُّعاءُ والأمر، يدعو الأرواحَ، فتجيبُه، ثمَّ يأمر أعوانَه بقبضها، ثمَّ يذهبون بها إلى عِلّيين، وقبضُ الحقِّ تعالى: خَلْقُ الموتِ فيه[3]، وقد يقال: لا منافاةَ؛ لأنَّ الله تعالى هو المُتوفّي حقيقةً بخَلْقِ الموت، وأمْرِ الوسائط بنزع الرّوح، وهم غيرُ مَلَك الموت، أعوانٌ له ينزعونها

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 221.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 220.
(3) ابن عجيبة، البحر المديد: 4/ 390.

من الأظافر إلى الحلقوم، فصحَّت الإضافاتُ كلُّها[1]، وصيرورةُ الأمر بالموت إلى الملائكة ببلاغ مِنَ الله، هذا هو الإذنُ، والإذن يقتضي مأذونًا، والمأذون هم ملائكةُ الموتِ الَّذين أذِنَ لهم مَلَكُ الموتِ بذلك، ومَلَكُ الموتِ تَلَقَّى الإذنَ مِنَ الله ﷻ[2]، فالحَدثُ منَ الله تعالى مَرَّةً، ومِن رئيس الملائكة مَرَّةً، ومن مُساعديه من الملائكة مرَّةً أُخرى، إذًا الأمرُ إمّا للمُزاولة مباشرةً، وإمّا للواسطة، وإمّا للأصل الآمر[3].

دلالةُ الاسم الموصول وصلتِه:

الوعيد وتسخير المخلوقات لأمره

الفائدة المتعلِّقة بالاسم الموصول وما معه في قوله: ﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾، التَّعريضُ بالوعيد، فإنَّه مُوكَّل بكلِّ ميّت بما يناسب معاملتَه عند قبض روحه، وفيه إبطالٌ لجهلهم بأنَّ الموت بيد الله تعالى، وأنَّه كما خلقهم يميتهم، وكما يميتهم يحييهم، وأنَّ الإماتة والإحياء بإذنه، وتسخير ملائكته في الحالين، وذلك إبطالٌ لقولهم: ﴿مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [الجاثية: 24][4].

معنى الباء في قوله: ﴿بِكُمْ﴾:

بيانُ شِدَّة التصاق مَلَكِ الموت بالمَرء

الباء في قوله: ﴿ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ تدلُّ في اللُّغة على الإلصاق والاختلاط بتعبير سيبويه، وهذا دليلٌ على شِدَّة التصاق الشَّيء بالشَّيء، فهو أقرب إلى أحدكم من حبل الوريد، ثمَّ التَّعبير بالباء "إشارةٌ إلى أنَّه لا يغفُلُ عنكم، وإذا جاء أجلُكم؛ لا يُؤخِّركم؛ إذ لا شُغْلَ له إلّا هذا"[5].

دلالةُ الحرفِ ﴿ثُمَّ﴾ في السّياق:

بيانُ شأنِ الرُّجوعِ إلى الله وأنَّه لا مَفَرَّ منه

أفادت ﴿ثُمَّ﴾ في قوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ التَّراخيَ الرُّتبيَّ؛

(1) القنوجيّ، فتح البيان: 11/ 20.
(2) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 3/ 1803.
(3) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 13/ 7877.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 220.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 143.

لأنَّ الجزاء يحصل عن رجوع النّاس إلى ربِّهم، والتَّراخي الرُّتبي دالٌّ على أنَّ الرُّجوع إلى الله أعظمُ شأنًا منَ التَّوفّي؛ لأنَّ الرُّجوع فيه حساب وجزاء، يُجازَى كلٌّ بعَمَلِه، فيقابَلُ المُحْسِنُ بإحسانه، والمسيءُ بإساءته، ففي الرُّجوع تبيانٌ للحقِّ بما ليس في التَّوفّي.

نُكْتَةُ تقديمِ شِبه الجملة ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾:

القَصْرُ مع تحقيق الوعيد ورعايةِ الفاصلة

لتقديم شِبه الجملة في قوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ نُكَتٌ، الأولى: تحقيق القَصْرِ، أي: إنَّهم راجعون إلى الله وحدَه لا غيره، الثّانية: تحقيقُ الوعيد لِمَن كَفَر بهذا اليوم، فهو راجع إلى الله رَغْمًا عنه؛ لأنَّ قوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ هو مناط إنكارهم[1]، الثّالثة: رعايةٌ للفاصِلَة، ففاصلةُ الآيات قبلها: (﴿كَٰفِرُونَ﴾، ﴿تَشْكُرُونَ﴾)، وبعدَها ﴿مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة: 12]، ورعاية الفاصلة مطلبٌ مهمٌّ مِن مطالب الإعجاز الصَّوتيِّ في القرآن؛ لذا كان التَّقديم.

فائدة التَّعبير بلفظ الرَّبوبيَّة مضافًا إلى ضميرهم:

متابعةُ اللَّفظة في السّياق مع التَّبكيت وبيان العدل

التَّعبير بالرَّبِّ مضافًا لضميرهم في قوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾، فيه ثلاثُ فوائدَ، أمّا الأُولى: فلغلبة لفظ الرَّبِّ بالإضافة إلى الضَّمير في هذا السّياق، فقبلَ الآيةِ الَّتي نحن بصددها قولُه: ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾، وبعدَها: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [السجدة: 12]، أمّا الثّانية؛ ففيها تبكيتٌ لهم على كفرهم وعدم إيمانهم، على الرَّغم مِنَ النِّعم والآلاء التي أسبغها عليهم ربُّهم، أَمّا الثّالثة؛ فمِن سمات الرَّبِّ العدلُ والكمالُ، ففي رجوعهم استيفاءٌ لحقِّهم ساعةَ إحسانهم وإساءَتهم.

نُكْتَةُ التَّعبير بجملة ﴿تُرْجَعُونَ﴾:

حتميَّةُ العودة إلى الله مصيرٌ لا انفكاك منه

للتَّعبير بالفعل ﴿تُرْجَعُونَ﴾ نُكَتٌ، فمعنى قوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾، أي: تصيرون إلى حُكم الله تعالى، فيجازيكم على

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 220.

أعمالكم الصّالحة والسَّيِّئة بما يناسب أعمالَكم، وأُطلِق على المصير إلى حُكم الله (رجوعٌ إلى الله)، على طريقة التَّمثيل بحال من كان بعيدًا عن سيِّده أو أميره، فعمل ما شاء، ثمَّ رجع إلى سيِّده أو أميره، فإنَّه يلاقي جزاءَ ما عمله[1]، وفي التَّعبير بالفعل ﴿تُرْجَعُونَ﴾ إتمام لإحسانه وربوبيَّته، بأن يُجازي كُلًّا بما فعل، كما هو دأب الملوكِ مع عبيدهم، لا يَدعُ أحدٌ منهم الظّالمَ من عبيده مهملًا[2]، ثمَّ إنَّ الرُّجوع هو العَود إلى ما كان منه البَدءُ، أو تقديرُ البَدءِ مكانًا كان أو فعلًا أو قولًا، وبذاته كان رجوعه أو جزءٌ من أجزائه أو بفعل من أفعاله[3]، والتَّعبير بصيغة المضارعيَّة أفاد التَّجدُّد الاستمراريَّ، فضلًا عنِ استحضار الصّورة.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

التَّوفّي والموت:

عمومِيَّةُ التَّوفّي وخصوصيَّةُ الموت

التَّوفّي المُسندُ إلى الله في القرآن، ليس كُلُّه بمعنى الموت، بل إنَّه يَرِدُ فيه بمعنيَيْن؛ **الأوَّل:** الموتُ، فاللهُ يتوفّى النّاسَ، أي: يُميتُهم، ويَقبضُ أرواحهم، قال تعالى: ﴿فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ﴾ [يونس: 104]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ﴾ [النّحل: 70]، **الثّاني:** النَّومُ، فاللهُ يتوفّى النّاسَ، أي: يجعلُهم ينامون، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمًّىۖ﴾ [الأنعام: 60]، ومعنى الآية: اللهُ يجعلُكم تَنامون في اللَّيل، ويقبضُ أرواحكم أثناءَ نومكم، ثمَّ يُعيدُ أرواحَكم إلى أجسادكم عندَ استيقاظكم، ويبعثُكم في النَّهار، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 343.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 250.
(3) إبراهيم الهدهد وآخرون، موسوعة الفروق اللّغويّة: 3/ 332.

تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾ [الزّمر: 42]، فقد اعتبرتِ الآيةُ النَّومَ مَوْتًا، وقسَّمت النّاسَ بالنَّوم إلى قسمَيْن: أُناسٌ ينامون، ويموتون أثناءَ النَّوم؛ لأنَّ اللّهَ أنهى آجالهم أثناءَ النَّوم، وقبضَ أرواحَهم، ولم يُرْجِعْها إلى أبدانهم: ﴿فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ﴾ [الزمر: 42]، وأُناسٌ ينامون، ويتوفّى اللّهُ أرواحهم أثناءَ النَّوم، ثمَّ يُعيدُها إلى أجسادهم عند الاستيقاظ؛ لأنَّه بقيَتْ في أعمارهم بقيَّةٌ: ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾ [الزمر: 42]، والفريقان يتوفّاهم اللّهُ أثناءَ نومهم: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ﴾ [الزمر: 42]، والتَّوفّي معناه: القبضُ، أي: اللّهُ يَقبضُ أرواح الأنفس كلِّها حين نومها، فإن انتهى عُمُرُ بعض الأنفس؛ أمسكَ أرواحها أثناء نومها، وإن بقي في عُمُرِ بعض الأنفس بقيَّةٌ؛ أعادَ لها أرواحها، وتدلُّ الآيات السّابقة على أنَّ التوفّي في القرآن بمعنى: "القبض"[1].

الرُّجوع والعَوْد:

الرُّجوعُ: فِعْلُ الشَّيء ثانيةً، ومصيرُه إلى حال كان عليها، والعَود: يُستعمل في هذا المعنى على الحقيقة، ويُستعمل في الابتداء مجازًا، قال الزَّجّاج: يقال: قد عاد إليَّ مِن فلانٍ مكروهٌ، وإن لم يكن قد سبقه مكروهٌ قبلَ ذلك، وتأويلُه: أنَّه لحقَني منه مكروهٌ، ومنه قولُه تعالى: ﴿۞قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ﴾ [الأعراف: 88]، والمعنى: أو لتدخلنَّ في ديننا، فإنَّه ﷺ، لم يكن على دينهم قط[2].

العَـودُ أعـمُّ مِـنَ الرُّجـوع في الاستعمال

(1) الخالديّ، القرآن ونقض مطاعن الرّهبان، ص: 193.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 250.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والأربعون،
سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2025.
مج. 44 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-97-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 44 : المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-97-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4197137 بتاريخ 2025/01/02م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»